الفصل الرابع

خصائص الطفل التوحدي

خصائص الطفل التوحدي

يحتاج الآباء والمربون أن يعلموا بأن المعرفة هي بداية النجاح في التربية، وأن الإنسان عدو ما يجهل، فيتعامل معه بالقدر الذي لا يتفق مع قدراته وشخصيته فتحدث المشكلات ويحدث العديد من الأخطاء، ولذلك فمعرفة الخصائص المميزة للطفل التوحدي من أهم الثقافات التي يحتاجها المربون. ويمكن تناول خصائص الطفل المصاب بالتوحد Autism من خلال الصفات الآتية:

العزلة العاطفية أو البرود الانفعالي :

لايتجاوب طفل التوحد Autism مع أي محاولة لإبداء العطف أو الحب له، وكثيراً ما يشكو الوالدان من عدم اكتراث الطفل أو استجابته لمحاولات تدليله أو ضمه أو تقبيله أو مداعبته ، بل ربما لايجدان منه اهتماما بحضورهما أو غيابهما عنه حتى إنه يبدو وكأنه قطعة من الحجر، وفي كثير من الحالات يبدو الطفل وكأنه لايعرفهما أو يتعرف عليهما ، وقد تمضي ساعات طويلة وهو في وحدته لايهتم بالخروج من عزلته أو تواجد آخرين معه، ومن النادر أن يبدي عاطفة نحو الآخرين بل تنقصه في كلامه النغمة الانفعالية والقدرة التعبيرية.

ولكن قد يحدث التغيير في الحالة العاطفية مع تطور العلاج وزيادة الاختلاط الاجتماعي، وهذا حدث معي لأحد الأطفال التوحديين أثناء علاجه حيث كان هذا الطفل لا يهتم بمشاعر وانفعالات الآخرين حتى أقرب الأشخاص لديه وهي الأم وبعد فترة من العلاج استطاع الطفل أن يصل إلى مستوى أن يقرأ انفعالات الأم ويعرف أنها الآن غاضبة منه ويسارع بالمصالحة من خلال التودد لها أو فعل مواقف تسعدها ، وبالتالي هذه الخاصية قابلة للعلاج.

قصور الاتصال :

عندما يولد الطفل فإنه يخضع لنظامين من الاتصال ، الأول هو الأسرة التي ينشأ داخلها والتي تمتلك لأساليب اتصال معينة يتم التعامل بها داخل الأسرة وخارجها،

والثاني هو المجتمع الذي ينتمى له الطفل والذي يمتلك أيضا صيغ معينة للاتصال تميزه عن بقية المجتمعات ويحتاج إلى حدود تبين له هويته .

وفي حالة التوحد Autism لايستطيع الطفل أن يشعر بالانتماء إلى هذين النظامين (البيئة ، الأسرة) ويضطر إلى تحديد هويته بمعزل عن بيئته وأسرته دون أن يتوافق أو يقارن نفسه مع أحد ، إذ أن هذا الطفل يرفض كل ما يؤدي إلى التكامل بينه وبين العالم المحيط به ويقيم باستمرار الحواجز حوله ، ويمكن اعتبار أن طفل الأوتيزم يقوم وحده ببناء إطاره الثقافي دون الاستعانة بالبيئة أو اللغة .

وعلى ذلك يفقد الطفل المصاب بالتوحد Autism الاتصال اللفظي وغيراللفظي، ويأتي قصور الاتصال اللفظي نتيجة عدم قدرة طفل التوحد Autism على تفهم الرموز اللغوية وما هو المفروض أن تنقله إليه من معاني، حيث إن الأصوات العالية قد لاتثير استجابة لديه، في حين أنه قد يستجيب لحفيف الأشجار أو ورق الجريده ، ونتيجة لعدم الفهم هذا فإنه لايستطيع إتقان الكلام للتعبير .

وهذه الخاصية يحتاج أن يدركها المربون والمعالجون حيث لا يتوقع من الطفل التوحدي سرعة الاتصال في بداية الأمر ، ولكن الأمر يستغرق بعض الوقت معه، ثم يبدأ الاتصال تدريجيًّا.

مثال:

حدث هذا الأمر مع حالة من الحالات التي قمت معها بعلاج سلوكي، حيث كان الطفل في بداية الأمر لا يتقبل مني أي شيء ولا يريد الاشتراك معي في أي نشاط، ومن ثم بدأت التدرج في التعامل معه حتى إن الطفل كان يحب أن يدخل إلى غرفة العلاج بمجرد وصوله إلى المكان ، ويظل يبكي وهو في مكان الانتظار حتى يدخل.

وهذا يعني أن هذه الخاصية قابلة للتعديل أيضاً.

النشاطات النمطية المتكررة:

هناك كثير من الأطفال يقضون أكثر يومهم في تكرار نشاطات نمطية ملزمة من نوع واحد، وتتضمن هذه النشاطات اللمس المتكرر لأشياء معينة أو وضعها في خط

لانهائي، وهدفنا هو تقليل التأثير السلبي الذي يعكسه هذا السلوك على الأسرة وذلك بتقليل حدة وتكرار هذا السلوك على الأسرة تدريجيًّا.

مثال :

إحدى الحالات الذاتوية كان يقضي معظم وقته في وضع العملات المعدنية في صف واحد ، هنالك خطوط طويلة من العملات ملأت غرفة المعيشة والمطبخ وفي السلم ومدخل الحمام وغرف النوم وأي محاولة من الوالدين لإزالة هذه الصفوف أو تخريبها بالخطأ تؤدي لمضايقته الشديدة.

الروتين اللفظي :

هناك كثير من الأطفال الكبار في سن التحدث يتبعون روتينًا لفظيًّا محددًا. حيث كان لإحدى الحالات طريقة نمطية في طرح أسئلة معينة بشكل يومي وطريقة واحدة للإجابات وكانت والدته مضطرة للتجاوب معه ، كانت تقوم بسؤاله أسئلة مهنية وكان يجاوبها بطريقة محددة يوميًّا، وإذا حدث تغيير بسيط جدًّا في طريقة طرحها للأسئلة سيحدث نوبة غضب حادة وطويلة وكان أيضاً عنيفاً في فرضه للقيود على طريقة تحدث الآخرين .

ورغم أنه لا يلح في أن يشاركه الغريب في حديثه إلا أنه يهيج إذا كان حديث الآخرين غير مطابق للنحو إذا أخطأ أي شخص مثلاً في استخدامه لضمير أو ترتيب نحوي أو ترتيب خاطئ سيظل يصيح ويصرخ حتى يتم تصحيح الخطأ وكان ذلك يزعج والديه ويجدون صعوبة في اصطحابه أمام الناس.

ومن أصعب التكرارات اللفظية التي لاحظتها عند طفل توحدي أثناء علاجه، هي أنه في أول جلسات العلاج كان دائما يكرر كلمة بكا بكا بكا، ثم تطورت وتحولت إلى بكا دى ، وهكذا، ولكن تم تدريبه وعلاجه وخروجه من هذا العرض المميز للطفل التوحدي.

مقاومة التغيير:

يمكن التعامل مع مقاومة التغيير في محيطهم باستخدام الطريقة التدريجية، يصاب معظم الأطفال بسخط شديد عند حدوث تغيير بسيط في محيطهم مثل أن يترك الباب في وضع مختلف اختلافاً بسيطاً جدًّا أو تزاح الطاولة عن مكانها المعتاد أو أي تغيير بسيط في أي أثاث في البيت.

مثال: أثناء العلاج السلوكي لطفل توحدي تم ملاحظته وهو يقوم بوضع المكعبات والأدوات الخاصة بالعلاج في صفوف معينة، وعندما قمت بتغيير بسيط في هذه الأشياء حدث له نوع من الثورة والغضب الشديد ولم يكف حتى أعاد الترتيب الذي يريده.

القصور الحسي:

يبدو الطفل الذي يعاني من حالة التوحد Autism أن لديه قصورًا حسيًّا كما أن حواسه قد أصبحت عاجزة عن نقل أي مثير خارجي إلى جهازه العصبي، فإذا مر شخص قريباً منه أو ضحك أو نادى عليه فإنه يبدو كما لو كان لا يرى أو يسمع أو أنه قد أصابه الصمم أو كف البصر، فهو يميل إلى تجاهل الأصوات حتى الشديدة منها ، كما أنه لا ينجذب إلى بعض الأصوات مثل صوت احتكاك اللعب عند تحريكها أو صوت جرس الباب .

سلوك التجميع الاستحواذي :

نجد عدد من الأطفال التوحديين يقومون بتخزين عدد وافر من الأشياء بدلاً من الانغماس في نشاطات طقوسية بوضع الأشياء في صفوف لانهاية لها.

مثال :

طفل توحدي يقوم بجمع لعب السيارات بشكل علب الكبريت. ويقوم طفل آخر لأكثر من سنة بتجميع جميع الدمى على شكل دب التي استطاع الحصول عليها و بعضها قام والديه بشرائها واستلف بعضها من الأطفال وعند التدخل وصل العدد

إلى ١٨ دبًّا ووضعهم في كرسي والده بغرفة المعيشة وكان هذا الطفل يدرك تماماً إذا أخذ أي دب من دببته أو تم تحريكه من مكانه على الكرسي في البداية قام والداه بأخذ دبٍّ صغيرٍ جدًّا ووضعه داخل دببة أخرى ولم يسمح للطفل بوضعه في الكرسي وذلك بربطه في كرسي آخر بخيط صغير.

وفي خلال الأسبوع التالي أخذ الدب تدريجياً لغرفة الطفل وفي هذه الفترة تم أخذ دب آخر من الكرسي وتم تشجيع الطفل على اللعب بهذه الدببة في أوقات أخرى من اليوم وبذل والديه مجهودًا كبيرًا لجعل الطفل يمارس نشاطات تمثيلية مثل غسل أو إطعام الدببة.

وتدريجيًّا ولمدة أكثر من خمسة أسابيع تم سحب جميع الدبب من الكرسي ولأول مرة استطاع والده الجلوس على الكرسي بعد أكثر من سنة ، و مازال الطفل يشجع على التعامل مع لعبته إلا أنه لا يسمح بتجميعها ، وبعد سنة مازال متعلق بدببه وكان يعلم مكان كل دب منها لكنه لا يقوم بتجميعها ولا يصر على بقائها في مكان معين في البيت.

سوء التكيف عند الارتباط بالأشياء :

ينتشر الارتباط الوثيق بأدوات الأمان مثل البطانية عند الأطفال الطبيعيين ويكون الارتباط بأشياء معينة (ببطانية معينة وليس أي بطانية) ويشعرون بالراحة بها في حالة المرض أو التعب أو القلق أو عدم الاستقرار ومهم جدًّا للطفل أن يكون لديه أدوات الأمان في مثل هذه الحالات ويسخط إذا لم تتوفر هذه الأدوات ، إن هذه الظاهرة طبيعية وتكيفية وليست سببًا للتدخل ، ومن الطبيعي أن يقوم الطفل الصغير جدًّا بحمل الأشياء معه باستمرار، لكن من غير الطبيعي أن يظل يحملها حتى سن ما قبل المدرسة أو أن الالتصاق بها يمنعه من أداء النشاطات الأخرى.

إن ارتباط الأطفال التوحديين شبيه بسخطهم عند فقدان أي أداة من أدواتهم إلا أنه يختلف في نقاط مهمة. إن الارتباط لا يبدأ في التناقص عندما يكبر الطفل ولا يستخدم الأدوات كمصدر للراحة في المقام الأول، وعادة ما يكون الطفل كاره التخلي

عن أدواته لأداء نشاط آخر ، وطبيعة الشيء الذي يرتبط به الطفل أيضاً تكون غير عادية قد تستخدم البطانية كأداة إلا أن العنصر قد يكون مغطسًا أو جذع لعبة أو غطاء علبة، يتعامل بعض أولياء الأمور مع المشكلة بتأمين عدد كافي من الأدوات البديلة كمخزن في حالة فقدان أي أداة يقوم الوالد بشراء أي مغطس أزرق يراه ليكون بديلاً في حالة تمزق المغطس الأول، هنالك بعض الأطفال لا يتقبلون استبدال القديم بآخر وقد يتضايق ويسخط عند محاولة الاستبدال، تكون هناك حاجة للتدخل لأن الطفل يصر على حمل أدواته طوال اليوم عند اللعب والعمل أو أداء أي نشاط.

مشاكل الأكل والنوم :

رغم أنه ليس من العادة أن ينظر لها كمشاكل وسواسية إلا أن صعوبات الأكل والنوم لدى عدد من الأطفال تكون مرتبطة بمقاومتهم للتغيير.

أحد الأطفال التوحديين يعمد على تناول الأكل ليس فقط في نفس الوقت من كل يوم بل أيضاً في نفس المكان والطاولة وبنفس السكاكين والأطباق.

الاستخدام غير المناسب للغة :

إن الشخص التوحدي – على وجه التحديد- لن يكون معاقاً لغويًّا، كما أنه لايواجه معضلات لغوية بعد تجاوزه مرحلة الطفولة الباكرة لأن هذه المعضلات ترتبط بالقدرات المتدنية على التفاعل، غير أن الكلام المشوش ، واستخدام الألفاظ والتعابير الجديدة قد يتسبب في حدوث مشكلات خطيرة ذات صلة بالاستخدام الاجتماعي للغة .

ويستطيع الأشخاص غير التوحديين تطويع مفرداتهم اللغوية ونغمات أصواتهم ومقدار حديثهم بما يتلاءم مع المستمع .

بينما يعجز التوحديون عن فعل هذه الأشياء، وإذا فعلوها أصلاً فإن ذلك يعود إلى أنهم لُقنوا " القواعد " اللازمة لفعل تلك الأشياء، وتبعاً لذلك فإن الشخص التوحدي قد يكون شديد الإيجاز أو بالعكس فقد يسهب في الحديث حول

موضوعات ذات اهتمام خاص بالنسبة له، وقد يقاطع أو يستجوب شخصاً ذا مكانة عليا ، أو قد يولي اهتماماً كبيراً بطفل أو شخص من مكانة متدنية .

وقد يكون هذا مصدر للحرج أو السخرية مما قد يؤدي إلى أن يلجأ الأشخاص الآخرون إلى تجنب الشخص التوحدي، أو قد يهاب الشخص التوحدي كل الأوضاع التي قد يتم فيها تواصل اجتماعي غير قائم على نسق اجتماعي محدد، وقد يقود هذا إلى أوضاع اجتماعية يعمد الشخص التوحدي إلى تجنبها أو يشعر بالقلق الارتيابي تجاهها .

مما يؤسف له أن الأوضاع الاجتماعية غالباً ما تتطلب فهما مناسباً لهذه الدلالات الدقيقة في حين أنه لا يمكن وضع مجموعة واضحة محددة من القواعد التي تحكم المواقف الطارئة التي تحدث على غير توقع .

التواصل غير الشفهي :

يمكن أن تنشأ المشكلات بين الأشخاص إما لأن الشخص التوحدي يعجز عن تفسير مؤشرات غير معلنة عن السن أو المكانة الاجتماعية، وإما لأنه لا يستطيع تكييف سلوكه بما يتوافق مع تلك المؤشرات .

ويبدو أن الأشخاص التوحديين أقل قدرة على تفسير الإيماءات غير الشفهية مقارنة مع الأشخاص غير التوحديين كما أنهم أيضاً أقل استخداماً لها .

ولعل أفضل مثال على ذلك هو تلك الصعوبة التي يواجهها الأشخاص التوحديون في استخدام القرينة أو سياق الكلام Cotext لاسيما السلوك غير الشفهي للإفادة من معنى العبارة الشفهية، وعليه فإنهم يفهمون النكات والطرف والعبارات الساخرة بحرفيتها مما يترتب على ذلك نتائج محرجة للغاية في بعض الأحيان، كما أن صيغ المبالغة والعبارات المجازية والملاحظات السرية تشكل كلها صعوبات مماثلة للأشخاص التوحديين، وحتى لا يحدث سوء فهم فإن من الأفضل تفادي هذه الأشياء أو استخدامها بأدنى مستوى ممكن، وعلى النقيض فإن النكات الساخرة وعبارات التورية قد تكون مناسبة.

ويواجه التوحديون أيضاً صعوبة في تحويل كلامهم إلى لغة عامية دارجة ، أو في الإشارة إلى الأشياء ضمنيًّا دون الإفصاح عنها بالقول الصريح، ولذلك فإنهم غالباً ما يبدون ثقيلي الفهم، وفي بعض الأحيان يبدو التوحديون الأكثر قدرة بارعون في التقليد والمحاكاة ولكنهم في هذه الحالات يكررون بالضبط ما قاله شخص آخر وبنفس نغمة صوته، ويواجه التوحديون الأقل قدرة صعوبة هائلة في تقليد شخصيات الآخرين أو في اختلاف ما قد يمكن أن يتفوه به شخص آخر .

وفي معظم الأحيان يكون من الصعب القول بما يشعر به الشخص التوحدي اعتماداً على تعابير وجهه ونغمات صوته، وقد تكون نغمة الصوت تذمرية .

قصور في تقديم الذات والتقييم الاجتماعي :

يمكن تلقين الأشخاص التوحديين بعض المهارات الاجتماعية والتخاطبية ولكن هذين الجانبين ليسا وحدهما هما الوسيلتان المطلوبتان للتوافق مع الآخرين في الأوضاع الاجتماعية المختلفة، إذ أن من المهم أيضاً أن يكون هناك فهم دقيق إلى حد كبير لمشاعر الشخص الآخر وكيفية تفكيره لتقدير كيف نستطيع أن نقدم أنفسنا : كأن نخادع ونتملق أو نتعاطف .. إلخ . كما أننا نوظف المعرفة حول كيفية تقديم الذات للحكم على دوافع الآخرين ، مثلاً معرفة متى نثق بهم، ولا يتمتع التوحديون بهذه القدرات ويعانون من زيادة مفرطة في الصدق والأمانة والثقة مما يعرضهم للاستغلال.

ويقدم الناس صورة عن ذواتهم أيضاً من خلال مظهرهم الشخصي والمجال الحيوي الذي يعيشون فيه، والمجال الذي يعيش فيه الشخص التوحدي غالباً ما يكون خالياً من الصفة الشخصية أو يضم مجموعة من الأشياء المختلطة غير المنظمة التي تراكمت إما عشوائياً وإما كجزء من مجموعة أكبر، ولا توجد أي محاولة لترك انطباع لدى الآخرين .

وبالمثل تكون الملابس غريبة يتعذر وصفها وتصنيفها، والواقع أنه يندر على الشخص التوحدي أن يقوم بشرائها حتى وإن كان قادراً تمام القدرة على شراء أشياء

أخرى كالاسطوانات الموسيقية على سبيل المثال، والتوحديون بصفة عامة لا يكوِّنون مفاهيم حول الأزياء وخطوط الموضة .

ويعاني العديد من الأطفال التوحديين من شذوذ في الحركة بما في ذلك أوضاع الجسم الغريبة والحركات المتكررة والطريقة غير المألوفة ولكنها تعودية في أداء أعمال معينة مألوفة، وقد يتجلى هذا على وجه الخصوص لدى الشخص التوحدي الأكثر قدرة على التواصل. فقد يواجه هذا الشخص صعوبات هائلة في اكتساب مهارات حركية لاسيما تلك التي تتطلب التحكم في أوضاع الجسم كركوب الدراجة مثلاً. وقد تسهم حركات غريبة أو نمطية متكررة في عدم تقديم التوحدي لنفسه إذ أن أوضاع الجسم غير المألوفة قد تجعل الآخرين يتجنبوا الطفل التوحدي .

ولكن يمكن للتوحدي أن يتعلم كيف يراقب ويكبح هذه الأوضاع . وبالإمكان أيضاً تلقين التوحديين الامتناع عن الاهتزاز، والضمضمة، والصفير، والتربيت على الذقن، وما إلى ذلك من الحركات النمطية المتكررة التي تمدهم ببعض الراحة، وما لم يتهيأ للشخص التوحدي وصف تسامحي يستطيع فيه إطلاق العنان لهذه الحركات؛ فإنه قد يمارسها في الشارع أكثر مما في المنزل .

وهذه الحركات غير المألوفة قد تسبب حرجاً للأبوين وقد تنفر أو تبعد بعض الناس رغم أنها نادراً ما تسبب إزعاجاً كبيراً.

وعليه فإذا كان الشخص التوحدي يستخدمها فإن من أوجب الأولويات مساعدته على الانتباه لها ولآثارها على الآخرين، ولتحقيق ذلك فإنه من الضروري تذكر أن المعنى الاعتيادي ذي الصلة بأي سلوك يكون مفقوداً لدى التوحدي؛ وعليه فإن عبارات مثل: "ينبغي عليك أن تهتم بوالدك" ، أو " ينبغي عليك أن تبدي مزيداً من الاحترام لمعلمك " لن تحدث أي تغيير في سلوك الشخص التوحدي لأنه لن يفهمها.

اللعب والاهتمامات والهوايات :

يبدي الأطفال التوحديون عدم الميل للعّب، وقد يكون هذا الميل تاماً لدى

الأشخاص الأكثر إعاقة توحدية . وعادة ما يتعمق اللعب لدى الأطفال التوحديين الأكثر قدرة على إصدار الأوامر وتشكيل جماعة والتفكير في الأشياء، كما أن اللعب ربما يكون انفراديًّا على الرغم من أن الأطفال التوحديين قد يشاركون سلباً في لعبة مع أطفال آخرين أكثر هيمنة .

وأيضاً قد يثير إصدار الأوامر اهتمام الأطفال غير التوحديين وقد يرغبون أحياناً في التجمع في مجموعات تماماً مثل الأطفال التوحديين الأكثر قدرة. ومع ذلك يختلف اللعب الانفرادي لدى الطفل الطبيعي عنه لدى الطفل التوحدي؛ لأنه يتضمن التمثيل والتقمص، فعادة ما يتصور الأطفال غير التوحديين أنهم سائقي قطارات أو أمهات أو أطباء وقد يرتدون ملابس خاصة لهذا الغرض ويستخدمون نبرات صوت خاصة لإظهار أنهم شخصيات مغايرة لذواتهم، وفي حين أن الأطفال التوحديين نادراً ما يفعلون ذلك إلا أنه ليس صحيحاً تماماً القول بأنهم يفتقرون إلى الخيال .

وعلى سبيل المثال؛ فإن فتاة توحدية أطلقت أسماءً على جميع الأجهزة والأدوات المنزلية وقالت: إنها مأوى لأعراق من البشر الصغيري الحجم الذين هم سبب سلوكها السيئ . كما أنها اعتادت على الاستمتاع بأن يصف لها والدها رحلة خيالية قاما بها معاً في باطن الأرض، وقد يكتب بعض الأطفال التوحديين قصصاً وينظمون الشعر.

ويوجد بعض الاهتمامات الخاصة لدى التوحدي تكون على شكل ممارسات روتينية مثل حالة الصبي الذي يحلو له ترتيب لعبة قطار في وضع معين ثم مراقبتها . وقد تتضمن الاهتمامات أيضاً مجموعات أو أشياء أو منظومة من الحقائق المحفوظة عن ظهر قلب أو دراسة نظرية، وغالباً ما تكون المجموعات قاصرة على شيء محدد للغاية كأن تكون خرائط أو كتب عن موضوع محدد أو صور معينة. والحقائق التي يستظهرها التوحدي ويحفظها عن ظهر قلب محصورة للغاية، وكمثال يستظهر رجل يبلغ من العمر ٦٥ عاماً عن ظهر قلب عناوين محاكم الأحداث برمتها بينما يشعر

بضجر إلى حد البكاء تجاه عناوين المحاكم الأخرى . ومن بين الحقائق الأخرى التي يحفظها التوحديون الذين التقيت بهم :

أسماء أشهر الخيالة العشرين في القمة وخيولهم الفائزة وأسماء أنواع الجزر وأنواع الزهور وتذكارات فريق البيتلز (الخنافس) الغنائي البريطاني، وقصة حياة الكاتبة البريطانية "ماري راسل ميتفورد" والمؤرخ البريطاني "وليام ميتفورد"، والطرق التي تسلكها الحافلات، والأرقام الخاصة بتصنيف ديوي العشري الخاص بالمكتبات، والعواصم العالمية وأعلى مبانيها، والحقائق الفلكية والأرقام القياسية في الملاكمة ، وأبعاد الكاتدرائيات وخرائط وتواريخ المدن . وتضمنت الدراسات النظرية موضوعات مثل التواصل غير اللفظي، وعلم الصيدلة النفسي، وعلم السموم والفيزياء الفلكية، وعلم الأحياء، وتاريخ الحرب العالمية الثانية، وعلم الآثار، وألغاز الشطرنج.

وتتضمن معظم هذه الاهتمامات ترتيبا منهجيًّا يبدو ذا أهمية خاصة لدى المصابين بالتوحد في جميع الأعمار وفي مختلف درجات الإعاقة، والعديد من هذه الاهتمامات قد تنصب على الناس ولكن بصورة محدودة أو من بعيد، وقد يكون هؤلاء الناس قلة قليلة للغاية (مثل الخنافس أو عائلة ميتفورد) ، أو ربما ينصب الاهتمام على قياسات ذات صلة بالناس، ويميل العديد من التوحديين إلى قراءة موسوعة غينيس للأرقام القياسية ربما لهذا السبب . وعندما طُلب من شخص توحدي أن يصف خاله قال: إن قياس صدره (٥٠) بوصة وخصره (٤٠) بوصة .

ولدى بعض التوحديين اهتمام خاص بالعنف والأحداث التي يرتكبها المجرمون، وكمثال كانت فتاة تبلغ من العمر ١٤ عاماً خبيرة في جرائم سفاح يوركشاير، وقد يحظى المنبوذون الذين ينتقمون من المجتمع بقبول خاص لدى التوحدي عندما يكشف أنه قد تم في باكورة مراهقته إبعاده عن علاقات اجتماعية تكتسب أهمية كبرى لدى أنداده.

نموذج لعبقرية توحدي:

لقد عرضت قناة الجزيرة الإخبارية عن معجزة لا يوازيها طاقة بشرية حيث شخص توحدي يبلغ من العمر أكثر من خمسين عاما لديه ذاكرة حديدية، وقدرة

منطقية عالية في تذكر الأحداث والتواريخ والمواقف وغيرها من المعلومات التي يعجز أي شخص عن إدراكها .

فكان هذا الرجل إذا ذكرت له تاريخ ميلادك يقول اسم اليوم الذي ولدت فيه وما يوازيه من أحداث عالمية هامة في نفس اليوم، وكذلك لديه قدرة على القراءة السريعة وتذكر أكثر من ٩٠٪ مما يقرأ، وهذا إعجاز عقلي فريد .

وبالتإلى هذا يؤكد إمكانية استثمار الطقل التوحدي ومعرفة هواياته واهتماماته حتى يتسنى توفير البيئة المناسبة التي تساعده على أن يبحث عن شيء يجد فيه ذاته ويحققها ...

القسوة وانعدام التقمص العاطفي :

يواجه التوحديون صعوبة في فهم مشاعر وأفكار الآخرين وبالتالي فإنهم يفتقرون إلى التقمص العاطفي empalty أي القدرة على استشعار ما يحس به الغير، وهذا يجعل من السهل على التوحدي أن يصبح أنانيًّا . وإذا لم يتم وضع ضوابط خارجية على ميله لفرض سلوكياته على أسرته، فإن الشخص التوحدي قد يتحول إلى طاغية، وعلى سبيل المثال فإن مراهقاً مصاباً بالتوحد تحكم في حياة أبويه إلى حدٍّ أنهما كانا يخشيان الخروج من المنزل وكان يتسوقان أغراضهما المنزلية خلسة وخفية ، ويقضيان وقتاً طويلاً في التنظيف لأن ابنهما تنتابه نوبات غضب عارمة تجاه الأقذار والأوساخ وكانا يعانيان في كل وجبة من كابوس إقناعه بتناول المزيد من الطعام المنوع .

ويكيف التوحديون – مثلهم في ذلك مثل الأشخاص غير التوحديين – سلوكهم وفقا للنتائج المتوقعة منهم في حين أن الأشخاص التوحديين الأكثر قدرة قد يسيئون لشخص بعينه دون الآخرين، ويتعلم معظم التوحديين باكراً أن إيذاء الآخرين يتبعه أكثر النتائج خطورة ولذلك فإنهم عادة ما يتصرفون وفقاً لهذه القاعدة، غير أن قلة من التوحديين يكونون عنيفين تجاه الآخرين، وقد يكون هذا العنف من نوعية مرعبة إذ أن التوحدي لا تكبحه علامات الرعب على قسمات ضحيته.

وقد تنتج نوبة الغضب عند التعرض لنوع خاص من المقت والبغض كحالة رجل كان يهاجم النساء والفتيات اللواتي يُغنين بدرجة صوت معينة ، أو عند إحباط ناجم عن تغيير في روتين ما ، أو عند رد فعل عاطفي مطابق لرد الفعل المسبب للغضب لدى الأطفال غير التوحديين، وخير مثال على الحالة الأخيرة أولئك الأطفال الأكبر سنًّا الذين يدفعون إخوانهم الأصغر سنًّا على الدرج أو يؤذونهم بصورة أخرى، أو الأبناء الذين يعتدون على أمهاتهم لأنهن لم يلبين لهم مطلباً من مطالبهم.

ولا توجد حالات من الاعتداء الجنسي من قبل شخص توحدي على الرغم من معرفتي بحالة واحدة عن سلوك شائن . ويتصرف قلة من التوحديين الأكثر قدرة على نحوٍ خطر تجاه الآخرين، ولذلك ينبغي مراقبتهم باستمرار .

الروتين :

كلما كان التوحدي أقل قدرة على التواصل ، كلما كان أكثر تقيداً بالروتين وأقل قدرة على التكيف مع التغيير، ويسبب الروتين المتعلق بالأكل ونوعية الطعام وكيفية إعداده ، والمتعلق بالذهاب إلى الفراش وارتداء الملابس والخروج ، علاوة على الاهتمامات التي تتصف بصفة الروتين ، متاعب لأسرة الشخص التوحدي الأكثر قدرة.

ويبدو أن الروتين يحد من القلق والشك وعدم الوثوق من الشيء لدى التوحدي، ويصبح الروتين أقل حدة إذا ما تم اتخاذ خطوات أخرى لتهدئة مخاوفه .

مثال:

أصبحت فتاة توحدية كانت تحب الغناء أكثر إلحاحاً على حضور دروس الغناء مع والدتها، وأكثر إصراراً على تلقيها في نفس الوقت من كل يوم إلى حد أنها كانت تقاطع أحاديث والدتها وتجرها جرًّا للجلوس إلى آلة البيانو، ومن جانبها ، حاولت الأم مراراً تقليص زمن الدروس وتجاوز بعضها كلما أمكنها ذلك، وعندما بدأت الأم في لصق جدول بزمن الدرس ومدته على لوحة بالمطبخ، أصبح سلوك ابنتها معقولاً ومقبولاً أكثر، بل أصبح بالإمكان وضع خطة لإلغاء الدروس في بعض الأيام والمناسبات.

عدم الاهتمام بالآخرين :

كان "كانر" "Kanner" أول من وصف الأطفال المنعزلين عن الآخرين ولبعض الوقت كان يفترض أن الأطفال التوحديين منقطعين تماماً عن الأشخاص الآخرين، والواقع أن العديد من المحللين النفسانيين أخذوا هذا الافتراض كنقطة انطلاق لفهم التوحد . غير أن ملاحظة الأطفال التوحديين معاً في جماعة أوضحت أنهم يبذلون نفس القدر من التقاربات إلى بعضهم تماماً كما يفعل الأطفال العاديون في جماعة.

وتتميز هذه التقاربات بالقصر ولا تتطور إلى تفاعل وسرعان ما يتبعها الانسحاب، ولكن حقيقة أن العديد من الأطفال التوحديين يبدؤون هذه التقاربات تشير إلى وجود مستوى طبيعي من الاهتمام بالآخرين، غير أن ذلك لا يعني أن الأطفال التوحديين لديهم اهتمام بالأشياء لدى الآخرين بنفس اهتمام الأطفال غير التوحديين .

ويبدو أن ما يميز الأشخاص التوحديين عن غيرهم من غير التوحديين هو أن التفاعل فيما يبدو يكون غير سار بالنسبة للشخص التوحدي، وتبعاً لذلك فإن تقديم عرض بالتفاعل قد ينفر الطفل التوحدي أكثر مما ينفر الطفل غير التوحدي، ونحن كأشخاص غير توحديين نادراً ما نضع في بالنا إمكانية الفشل في تفاعل اجتماعي ما لم تكن هناك ظروف استثنائية مثل: إجراء مكالمة دولية على خط هاتفي سيئ، أو التحدث إلى شخص بلغته الأجنبية . غير أن الفشل في التفاعل الاجتماعي أمر عادي بالنسبة للشخص التوحدي، ولعل هذا واحد من التفسيرات الممكنة لماذا يمكن أن يكون التفاعل الاجتماعي منفراً .

التوحديون أكثر عرضة للمشكلات العاطفية :

تجلب المراهقة الباكرة مشكلات معينة بالنسبة للتوحدي لاسيما ما يتوقع منه من روح المبادرة والإحساس بالمسؤولية علاوة على البعد ذي الصلة بالجنس . ويبلغ العديد من التوحديين الحلم في سن متأخرة ومع ذلك فإنهم قد لا يشعرون بالانجذاب الجنسي؛ غير أن غالبية التوحديين الأكثر قدرة لديهم مشاعر جنسية

ويلجأون إلى العادة السرية Masturbation لتفريغ شحناتهم الجنسية، وتعافت قلة قليلة من التوحديين تماماً من إعاقتهم إلى حد أنهم أصبحوا قادرين على تحقيق تبادلية اجتماعية ضرورية لعلاقة حميمة طويلة المدى، ومعظم التوحديين لم يواعدوا أي شخص قط؛ مما يعني أن الإحباط الجنسي أمر شائع بينهم في فترة المراهقة . وقد يؤدي هذا بالرجال والنساء التوحديين إلى الاستجابة بطريقة غير لائقة للدعوات الجنسية التي يتلقونها من الآخرين .

ولا يحقق التوحديون الشديدي الإعاقة ما يكفي من أهلية اجتماعية تجعلهم عرضة لمخاطرة جنسية، وبالتالي يكونون أقل ميلاً للجنس بالمقارنة مع التوحديين الأكثر قدرة، ومن المفارقات أن هذا قد يفضي بالتوحديين الأكثر قدرة إلى الإصابة بالاضطراب العاطفي بالمقارنة مع التوحديين الأقل قدرة، وقد يحدث الاضطراب العاطفي على وجه الخصوص بين المراهقين والشبان في أوائل العشرينات، وقد تبدأ الإصابة بالاضطراب السلوكي (سوء السلوك العاطفي المنشأ) والاكتئاب والقلق في سن المراهقة، ويكون أكثر شيوعاً لدى المراهقين بالمقارنة مع الأطفال الطبيعيين على الرغم من أن بعض الدراسات أوضحت أنه ليس أكثر شيوعاً عنه مما لدى المراهقين غير التوحديين الذين يعانون من مشكلات اجتماعية.

الصحة العقلية والجسمانية للشخص التوحدي الأكثر قدرة:

يبدو أن التوحديين أكثر عرضة لخطر الإصابة بالذهان Psychosis بالمقارنة مع غير التوحديين، ويعزى ذلك إلى الفصام Schizophrenia كما أكدت على ذلك إحدى الدراسات (تشيك، وولفChick and Woolf) . ولكن ثلاث دراسات أخرى لكل من (وينغ وغيلبرغ Wing)، Gillberg أوضحت أن السبب يعود أساساً إلى داء الاكتئاب.

ويأخذ الاكتئاب نفس الشكل لدى التوحديين وغير التوحديين ولكن شدة المرض قد تختلف، وكمثال فإن الهم الأوحد لدى شخص توحدي مجنون تمثل في مطالبته بإنشاء خط جديد للحافلات يربط بين جميع الأماكن التي يحلو له هو زيارتها

في شمالي لندن، وألقى توحدي مصاب باكتئاب شديد بنفسه في نهر التيمس عندما عجز عن إقناع الحكومة بإلغاء التوقيت الصيفي البريطاني، وامتنع توحدي مكتئب آخر عن الحديث وأضرب عنه تماماً لأنه كان يخشى أن يفشي أسراراً للجيش الجمهوري الأيرلندي IRA .

ويستجيب التوحديون إلى العلاج التقليدي للاكتئاب تماماً مثل الأشخاص غير التوحديين، ومن المألوف العثور على دليل على وجود تلف عصبي لدى التوحديين ولكن يندر العثور على متلازمة عصبية بعينها بينهم، وقد تكون نتائج التخطيط الكهربي للمخ EEG غير طبيعية لديهم، وأن ٢٥ بالمائة من التوحديين الأكثر قدرة قد تعتريهم نوبات اكتئاب منتظمة أو يحتاجون إلى علاجات ضد التشنج، وقد يظهر الاختبار النفسي زيادة في العلامات المحرزة في الناحية الشفهية مقارنة بالأدائية، على النقيض من معظم التوحديين الأقل قدرة، غير أن هذا الفارق قد يكون غائباً أو يأخذ وجهة معاكسة في بعض الأحوال، وقد لا يقود الاكتئاب هؤلاء إلى الشروع في الانتحار بالمقارنة مع غير التوحديين على الرغم من أن ذلك وارد .

وقد يكون الاضطراب السلوكي خطيراً إلى حد أنه قد يتطلب علاجاً مكثفاً بالمستشفي.

التعليم :

يحتاج العديد من الأطفال التوحديين إلى مساعدة خاصة في مجال التعليم، غير أن لدى سلطات التعليم سياسات متباينة إزاء هذه المسألة؛ فقد تنشئ السلطات المحلية مدرسة خاصة بالأطفال التوحديين، أو تنشئ وحدة خاصة بهم داخل المدرسة، أو تضع الأطفال التوحديين مع أطفال من ذوي احتياجات خاصة، وكل هذه الوضعيات قد لا تناسب الطفل التوحدي الذي تتطور قدراته العقلية بنفس سرعة تطورها لدى أقرانه وأنداده .

وقد لا يحظى بعض التوحديين الأكثر قدرة بأي قسط من التعليم الخاص لأنه لم يشتبه أحد في إصابتهم بالتوحد؛ فقد كان ٨٠ بالمائة فقط من التوحديين الذين

أجرى "نيوسون Newson" وآخرون مسحاً لهم ، وكان ٩٠ بالمائة منهم توحديون كانوا في مدارس عادية، غير أن ٥٠ ٪ فقط الذين شملتهم دراستي (التي شملت ٤٦ بالغاً ثم تشخيص ٢٠ ٪ فقط منهم من قبل بإصابتهم بالتوحد) ألحقوا بمدارس عادية .

وكثيراً ما يتعرض الأطفال التوحديون في المدارس العادية إلى البلطجة ولكن من المدهش أنهم يحققون تفوقاً كبيراً في الاختبارات، وتتمكن قلة منهم من الالتحاق بالتعليم العالي، ويعتمد مدى استفادة طفل بعينه من التعليم الخاص من عدمه إلى حد كبير على الظروف المحلية ولاسيما مقدار العون المتاح له في المدرسة المحلية، ولابد من تفهم مصاعب الطفل الدراسية وكذلك الطبيعة المختلطة المختلفة لمهارات الطفل وقدراته.

العدوانية :

قد لا تكون البلطجة ذات اتجاه واحد دائماً عند الطفل التوحدي؛ فقد ينفث عن المشاعر التي تعتمل في نفسه على التلاميذ الأصغر سنًّا أو على إخوانه الصغار ويمكن أن تكون العدوانية معضلة على وجه الخصوص في مرحلة المراهقة، وغالباً ما تكون الأم هي الهدف، وفي أحيان كثيرة تحدث على غير توقع وبعنف.

وكمثال فإن مراهقاً في الرابعة عشرة من عمره لم تعد له أمه طعام العشاء بسرعة شد ثدييها بقوة إلى حد أن جلدها تمزق، وهذا المستوى من العدوانية نادر وقد يكون مؤشراً على اضطراب عاطفي عمل على تعقيد حالة التوحد، وفي هذه الحالة قد تكون هناك حاجة لإخضاع الطفل أو المراهق للعلاج الطبي، وإذا لم يفد العلاج فقد يكون من الضروري إبعاده عن الأسرة.

غير أن وجود طفل توحدي ليس أمراً صعباً دائماً، وعادة ما يتصف الأشخاص التوحديون بعاطفة مؤثرة بريئة غير معقدة، فهم لا يدبرون المكايد ولا يتآمرون ولا يتمردون ولا يشوهون سمعة غيرهم .

الاضطرابات المعدية والمعوية :

يعاني الأطفال التوحديون من سوء امتصاص للفيتامينات والغذاء، أشار الإكلينيكيون إلى الإسهال والأطعمة غير المهضومة بأنها شائعة لدى التوحديين ، وأيضا التوحديون يعانون من سوء الهضم للأطعمة؛ والدليل على ذلك هو ثبوت ارتفاع ببيتيدات البول (urinary Peptides) .

ويعاني معظم الأطفال التوحديين من ضعف الجهاز المناعي، وكذلك اتضح أن العديد من الأطفال التوحديين لديهم تاريخ بتكرر الالتهابات وخصوصا التهاب الأذن .

ضعف إزالة السمية في الأطفال التوحديين :

يتضح عند عينة كبيرة من التوحديين الأعراض التالية :

- قلة الكبرتة في ١٥ من ١٧ حالة .
- قلة تصريف الجلوتاثيون في ١٤ من ١٧ حالة .
- قلة Glucuronidation في ١٧ من ١٧ حالة .
- قلة تصريف الجلايسين في ١٢ من ١٧ حالة .

الصورة الغذائية غير الطبيعية في الأطفال التوحديين:

* قلة المنشط ب٦ (P5P) في ٤٢٪ في الأطفال التوحديين أيضا مجموعة التوحديين أعلى في مصل النحاس serum - copper قلة مستويات مشتقات Omega-6 في نتائج تحليل ٥٠ من ٥٠ من التوحديين من قبل Kenned Kreiger حيث وجد مستوى GLA و DLGA أقل من المعدل الأدنى .

* قلة (EGOT فعالية ب٦ B6) في ٨٢٪ وجميع ال ١٢ فرد التوحديين لديهم مستوى أقل في ٤ أحماض أمينية (تايروسين ، كارنوسين ، لايسين ، هايدروكسيليسين) . بعض الدراسات أوضحت قلة امتصاص RDA في النحاس في

١٢ من١٢ حالة والكالسيوم في ٨ من ١٢ حالة ، فيتامين D في ٩ من ١٢ حالة ، وفيتامين E في ٦ من ١٢ حالة ، وفيتامين A في ٦ من ١٢ حالة .

* قلة مستوى الميثيونين (methionine) ليست غير مألوفة في التوحد.

* الجلوتامين (glutamine) أقل من الطبيعي في ١٤ من ١٤ حالة ، والجلوتاميت (glutamate) أعلى لدى ٨ من ١٤ حالة.

* زيادة نسبة النحاس إلى الزنك في الأطفال التوحديين .

* قلة امتصاص الكبريتات وقلة بلازما الكبريتات في التوحديين.

* نقص فيتامين ب١٢ B12 والناتج من ارتفاع تركيز حمض الميثيلمالونيك البولي.

* قلة الماغنسيوم والزنك والسلينيوم والتي يجب أن تناقش قبل عمل أي علاج آخر .

* فعالية المعالجة بفيتامين B6 والماغنيسيوم أوضحت إيجابيتها عدة دراسات؛ حيث أوضحت إحصائية الدكتور "برنارد ريملاند" من مركز أبحاث التوحد أن الأطفال التوحديين الذين استجابوا للعلاج كالتالي:

- ٥٠٪ تحسنوا مع الزنك (٦٪ ساءت حالتهم) .
- ٤٩٪ تحسنوا مع فيتامين C .
- ٤٦٪ تحسنوا مع الماغنيسيوم و ٦ % ساءت حالتهم .
- ٥٨٪ تحسنوا مع الكالسيوم .

مرحلة البلوغ :

تعتبر مرحلة البلوغ من أصعب المراحل للتوحديين حيث تشير التقارير إلى أن واحدا من كل أربعة من الأفراد المصابين بالتوحد تبدأ لديه نوبات صرع أثناء البلوغ ، والسبب الرئيسي لبداية هذه النوبات غير معروف ، ولكن على الأرجح أن نوبات

الصرع هذه أو نشاطات نوبات الصرع ربما تعزى إلى التغيرات الهرمونية في الجسم، أحياناً تبدو هذه النوبات واضحة وللمثال تصاحبها نوبات عنيفة واضطرابات تشنجية ، ولكن للعديد من التوحديين نوبات صرع يتعذر اكتشافها بالفحص السريري ولن تكتشف بالملاحظةالسهلة.

أطفال التوحد Autism لديهم ذكاء طبيعي :

إن الأطفال المصابين بالتوحد لديهم ذكاء طبيعي إلا أنهم ببساطة عاجزون عن توصيله للآخرين وذلك نتيجة للصعوبات الاجتماعية وصعوبات التواصل لديهم ، وعندما يتم اختبار الذكاء (IQ) لديهم وجد أن ثلثي التوحديين يحصلون على درجات أدنى من المتوسط أو أن لديهم عدم قدرة أو عجز في الذكاء؛ وهذا يعني أنه لديهم عائق أو إعاقة عقلية بجانب التوحد حيث إن ٧٠ ٪ من التوحديين لديهم تخلف عقلي أما الثلث المتبقي له نسبة ذكاء في المدى العادي والطبيعي، وحقيقة فإن التوحد يمكن أن يحدث عند أية نقطة على طيف الذكاء (أي من عدم قدرة أو عجز حاد في الذكاء إلى الذكاء العادي والطبيعي).

هل للطفل التوحدي ثقافة خاصة به أم لا ؟

هذا السؤال قد حير علماء النفس حيث لاحظوا أن بعض أطفال التوحد لا يفهمون أبعاد اللعبة كما في لعبة السيارات مثلاً حيث نرى أنهم يضعونها خلف بعضها البعض دون حركة، وإنما يقومون فقط بصفها بشكل واحد أو على هيئة واحدة، بعكس أطفال آخرين في لعبهم مع الأحجية (البازل Puzzle) فقد يُركب أحدهم ١٠٠٠ قطعة بشكل مرتب و منظم و محكم، وقسم ثالث من أطفال التوحد يقومون برسم أشكال وألوان يعجز الإنسان العادي عن رسمها.

وقد أوضحت أمثال هذه المشاهدات و الملاحظات التي جاءت في الدراسات الخاصة بهذا الموضوع أن الخلايا و المراكز الموزعة في المخ هي المنطقة الوحيدة السليمة و غير مصابة بإعاقة المراكز التي لها علاقة بالنشاطات التي يعملها الطفل التوحدي، وأن بعض الإشارات العصبية المسؤولة في بعض أجزاء المخ سليمة، و أن بعض

الأجزاء تالفة أو أصابها خلل؛ لذلك فإنها تنعكس على مدركات الطفل التوحدي وتفكيره مما يعطي انطباعاً لدى الجميع بأنه لا يعرف العلاقات في اللعب أو أنه غير مثقف بثقافة اللعبة التي يلعبها.

فأطفال التوحد ثقافتهم تختلف عن ثقافة الأطفال العاديين، وكذلك مدى سلامة الأجهزة العصبية والمخية والجهاز العصبي المركزي ومدى تطورهم ونضجهم النفسي والجسمي والعقلي وتناسبها مع مجريات الأحداث والخبرة العملية والتدرج لنمو العقل والخبرة في مجال الحياة.

المهارات التي يقوم بها أطفال التوحد ببراعة :

بعض أطفال التوحد Autism لهم مهارات استثنائية في المجالات مثل الموسيقى، والذاكرة الخارقة، والرياضيات والمهارات الحركية.

على سبيل المثال:

بعضهم يمكن أن يحسب اليوم من الأسبوع لأي تاريخ معين، وآخرون يمكنهم أن يتذكروا ويغنوا أغنية بشكل مشابه تماما للأغنية الأصلية التي تم الاستماع إليها، وبالرغم من هذا فليس جميع الأطفال التوحديين لديهم هذا النوع من المهارات .

* * *